

الراحة المفرطة أساس الأزمة

الشركات المسؤولة عن التلوث البلاستيكي

مراجعة قامت بها منظمة "غرينبيس" للسياسات والممارسات والطموحات المتعلقة بالشركات الكبرى المصنعة للسلع الاستهلاكية السريعة التداول (FMCG).

ملاحظة: إن جميع الإشارات إلى "غرينبيس" يُقصد بها منظمة "غرينبيس الدولية"، ما لم يُشار إلى خلاف ذلك صراحة.

ملخص تنفيذي

بات مشهد الأنهار والمحيطات والمجتمعات التي تفيض بالنفايات البلاستيكية شائعاً جداً في عالمنا، بالرغم من فظاعته. وتشير الشعارات والصور الخاصة بالعلامات التجارية الاستهلاكية الكبرى – التي يمكن رؤيتها بوضوح وسط فيض المواد البلاستيكية الأحادية الاستخدام – إلى الجهات التي تتحمل مسؤولية هذه الكارثة. فهذه العلامات التجارية، مع أغلفة منتجاتها التي تُرمى فور شرائها، تشجع وتعزز نمط حياتنا المعاصر الشديد التعلق بهذه المواد والذي يحفز الإنتاج المفرط والاستهلاك المفرط. وقد باتت الأدلة كثيرة على أنّ هذه "الراحة المفرطة" تترتب عليها كلفة غير مقبولة، تتمثل في تهديد نظمنا البيئية والكائنات الحية التي تعتمد عليها.

في كلّ دقيقة من كلّ يوم، تُرمى في البحار والمحيطات كمية من البلاستيك تعادل حمولة شاحنة كاملة،¹ علماً أنّ الأغلفة البلاستيكية هي من النفايات البلاستيكية الأكثر شيوعاً حول العالم.² فكلّ من هذه الأغلفة – المُصمّمة لتمييز العلامة التجارية عن سواها وكسب ولاء المستهلكين لها – قابل للاستخدام مرة واحدة، وهو يُرمى بعد ذلك من دون التفكير بالتبعات. حالياً، وفيما تتطلع هذه الشركات نفسها إلى توسيع أنشطتها لتشمل أسواقاً جديدة، باتت تُنتج كمية أكبر من أي وقت مضى من الوحدات المنفردة الصغيرة الأحادية الاستخدام والتي تأتي معلّبة في أغلفة بلاستيكية لا يمكن إعادة تدويرها حتى.

المحاسبة – الخطوة الأولى نحو الحل

إنّ العلامات التجارية التي تحفز النمو في إنتاج المواد البلاستيكية الأحادية الاستخدام أي الشركات الكبرى المصنعة للسلع الاستهلاكية السريعة التداول لا تخضع للمحاسبة لمساهمتها في الأزمة المتنامية المرتبطة بإنتاج هذه المواد البلاستيكية واستهلاكها والتخلص منها والتلوث الذي تسببه. فهذه الشركات مسؤولة عن إنتاج كميات هائلة من الأغلفة التي تُرمى فور شرائها والتي تسمح لنا بالاستمرار في ممارسة نمط حياتنا الاستهلاكي،³ كما أنّ هذه الشركات مسؤولة أيضاً عن نسبة كبيرة من التلوث البلاستيكي الذي أوصلنا إلى هذه الأزمة. بالرغم من ذلك، لا تتوفر أي معلومات عامة بشأن أنشطة هذه الشركات وسلسلة الإنتاج لديها والحجم الفعلي للمواد البلاستيكية التي تصنعها.

1 مدوّنة خدمة الأبحاث البرلمانية الأوروبية (2013)، معدّل إعادة التدوير وإجمالي كمية الأغلفة البلاستيكية للفرد في الاتحاد الأوروبي (2007-2013)، 2011. مُتاح على: http://epthinktank.eu/2013/11/07/plastic-waste/recycling-rate-and-total-amount-of-plastic-packaging-per-inhabitant.

2 مجلس الكيمياء الأميركي وشركة "تروكوست" (Trucost) (2016)، المواد البلاستيكية والاستدامة: تقييم للفوائد والتكاليف والفرص البيئية. مُتاح على: <https://plastics.americanchemistry.com/Plastics-and-Sustainability.pdf>.

3 تبلغ عائدات المبيعات الإجمالية للشركات الكبرى المصنعة للسلع الاستهلاكية السريعة التداول الـ 50 الأولى في العالم مجتمعةً 1.09 ترليون دولار أميركي؛ consultancy.uk، 2018، الشركات الكبرى المصنعة للسلع الاستهلاكية السريعة التداول الـ 50 الأولى في العالم، 24 أيلول/سبتمبر 2018.

لغايات هذا التقرير، أرسلت منظمة "جرينبيس الولايات المتحدة" استطلاعاً شاملاً أجرته مع 11 من الشركات الكبرى المصنّعة للسلع الاستهلاكية السريعة التداول.4 وتظهر الإجابات التي حصلت عليها المنظمة أنه وبالرغم من الالتزامات بالحد من كمية النفايات البلاستيكية عبر زيادة إعادة التدوير، لا تتوفّر لدى أيّ من هذه الشركات خطة لمعالجة مشكلة الاعتماد على المواد البلاستيكية من شأنها الحدّ من إنتاج المواد البلاستيكية الأحادية الاستخدام والتسويق لها.

الاستنتاجات الأساسية

إنّ الاستنتاج الأكثر إثارة للقلق هو أنّ أيّاً من الشركات لم يقدّم خطة محددة أو التزاماً للحد من كمية المواد البلاستيكية الأحادية الاستخدام التي تنتجها. كذلك، لا تتمتع هذه الشركات بشفافية كافية لكي تكون التزاماتها على القدر اللازم من المصادقية. وما يفاقم انعدام المصادقية هذا هو المزاعم المضلّلة التي يطلقها بعض الشركات، ومفادها أنّ هذه المواد البلاستيكية "قابلة للاستخدام أكثر من مرة" وأنها ليست "أغلفة تُستخدم مرة واحدة فحسب" عندما تحتوي على أكثر من حصة.

• ما من التزامات بالتخلّي عن المواد البلاستيكية الأحادية الاستخدام على مراحل

- لم يقدّم أيّ من الشركات التي شاركت في الاستطلاع التزامات بالتخلّي عن المواد البلاستيكية الأحادية الاستخدام أو أهدافاً واضحة للحد من الكمية التي تنتجها من هذه المواد.
- كلّ الالتزامات التي قدّمتها الشركات تسمح بالاستمرار في استخدام هذه المواد البلاستيكية، لا بل بازدياده.
- كلّ الشركات مصرّة على استعمال الأغلفة البلاستيكية الأحادية الاستخدام، كما أنّ الحلول التي يتم النظر فيها تركز بشكل أساسي على إعادة التدوير أو قابلية إعادة التدوير، مع العلم أنّ ذلك وحده غير كافٍ لمواجهة أزمة التلوّث البلاستيكي.

• ازدياد كميات الأغلفة البلاستيكية الأحادية الاستخدام

- يزيد معظم الشركات الكبرى المصنّعة للسلع الاستهلاكية السريعة التداول من كمية المواد البلاستيكية الأحادية الاستخدام التي تستعملها: فكل الشركات المشاركة في الاستطلاع باستثناء واحدة أفادت عن زيادة أو استقرار في كمية هذه المواد.

• الشركات غير مستعدة أو غير قادرة على الإفصاح عن كمية المواد البلاستيكية التي تنتجها

- لم يقدّم أيّ من الشركات تفاصيل عن كمية المواد البلاستيكية التي تنتجها، مع الإشارة إلى أنّ الكثير منها يتعهد بالقيام بذلك في المستقبل.
- لا يعرف أيّ من الشركات المشاركة في الاستطلاع المصير النهائي للأغلفة التي تنتجها، ما يعني أنّ هذه الشركات لا تعرف ما إذا كانت المواد التي تنتجها تغذي قطاع تصدير النفايات من خلال تجارة النفايات العالمية.

آثار المواد البلاستيكية على نظمنا البيئية

4 الشركات الـ11 المختارة تمتلك علامات تجارية استهلاكية مشهورة حول العالم، وهي تستحوذ على حصص بارزة من الأسواق في جميع أنحاء العالم. وقد اخترنا مجموعة متنوّعة من الشركات تغطي عدة منتجات استهلاكية، مثل المشروبات والأطعمة والأدوات المنزلية والمستحضرات التجميلية والمنتجات الصحية.

لا نعرف كم من الوقت بالضبط تحتاج المواد البلاستيكية المُصنَّعة من النفط لكي تتحلَّل، ولكننا ندرك تمامًا أنها عندما تتسرَّب إلى تربتنا وأنهارنا ومحيطاتنا، من المستحيل إزالتها.

- النفايات البلاستيكية التي تجرفها الأمواج على شواطئنا أو التي تعوم على سطح المياه هي غيبض من فيض. فأكثر من ثلثي المواد البلاستيكية في المحيطات تغرق إلى قاع البحار والمحيطات، ما ينتج أكوامًا متنامية من النفايات مغمورة تحت المياه،⁵ كما أنّ كمية المواد البلاستيكية التي تتسرَّب إلى البيئات البحرية في تزايد مستمر.⁶
 - القطع الكبيرة من البلاستيك تنقسم إلى جزيئات صغرى تُعرف بـ"الميكروبلستيك"، والأخيرة لا تراها العين المجردة.
 - تمّ رصد المواد البلاستيكية في جليد القطب الشمالي وفي القطب الجنوبي وحتى في أعماق الخنادق البحرية.
 - تسبَّب النفايات البلاستيكية مشاكل لا تقل خطورة على اليابسة، إذ إنها تملأ المطامر وتسدّ المجاري المائية، ما يزيد من خطر الفيضانات، أو تلوث التربة والهواء من خلال الحرق في الهواء الطلق أو في المحارق.
 - بعض المنتجات البلاستيكية تضمّ وتفرز مواد كيميائية خطيرة، كما أنّ جزيئات الميكروبلستيك تجذب هذه المواد من الغلاف الجوي وتركزها، ما يشكل خطرًا إضافيًا على الحياة الفطرية وعلى الناس.⁷
- فضلاً عمّا سبق، فإنّ إنتاجنا المفرط للأغلفة البلاستيكية يحدّ من قدرة الأرض على استيعاب الغازات الدفيئة ويلوث النظم البيئية بمواد كيميائية ونفايات خطيرة.

أسطورة إعادة التدوير

يزداد الحديث عن ضرورة مواجهة هذه المشكلة المخزية، إذ إنّ الحكومات والشركات تعبّر عن دعمها لهذه "الحرب على ثقافة الاستهلاك المفرط".⁸ ولكن حتى الآن، ما زالت هذه الحرب تُخاض بلا استراتيجية فعّالة. فالاقتصادات التي تمتلك بنى تحتية متينة لإدارة النفايات وإعادة تدويرها تجمع كمّيات متزايدة من الأغلفة البلاستيكية المرمية لإعادة تدويرها. ولكن أين يقع "المثوى الأخير" لهذه النفايات البلاستيكية؟

⁵ برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP)، 2014، تقييم المواد البلاستيكية: الحجة التجارية لقياس وإدارة استخدام البلاستيك في قطاع السلع الاستهلاكية والإفصاح عنه. الرقم الدولي المعياري (ISBN) 9789280734003.

⁶ شركة ماكنزي ومنظمة حفظ المحيطات (Ocean Conservancy) (2015)، وقف المدّ: استراتيجيات برّية لحماية المحيطات من التلوّث البلاستيكي، أيلول/سبتمبر 2015؛ <https://oceanconservancy.org/wp-content/uploads/2017/04/full-report-stemming-the.pdf>. تمّ ولوج الموقع الإلكتروني في 11 تشرين الأول/أكتوبر 2018.

⁷ باقر، أ.، ورولاندي، س.ج.، وتومبسون، ر.س. (2014)، الانتزاع المتزايد للملوثات العضوية الثابتة من جزيئات الميكروبلستيك تحت محاكاة الظروف الفيزيولوجية، مجلة التلوّث البيئي، الجزء 185، شباط/فبراير 2014، ص. 16-23. <https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0269749113005277>

⁸ صحيفة "فاينانشال تايمز" (2018)، تيريزا ماي تستهدف المواد البلاستيكية في الحرب على "ثقافة الاستهلاك المفرط"، كانون الثاني/يناير 2018؛ <https://www.ft.com/content/31125996-f62e-11e7-88f7-5465a6ce1a00>

- 9٪ فقط من المواد البلاستيكية حول العالم يُعاد تدويرها؛ وفي الدول المتطوّرة، لا تصل نسبة إعادة تدوير المواد البلاستيكية التي يتم جمعها في المنازل إلى 50٪ في أغلب الأحيان، وتُستخدَم كمية صغيرة جدًا منها لإعادة صنع الأغلفة.⁹
- معظم الأغلفة المرمية التي "يُعاد تدويرها" تُستخدَم لصنع منتجات أقل قيمة/غير قابلة لإعادة التدوير.
- الكثير من الأغلفة مصمّم أساسًا بشكل لا يسمح بإعادة تدويره بسهولة، مثل الأكياس الأحادية الاستخدام التي تزداد انتشارًا.
- القيود التي تواجهها عملية إعادة التدوير¹⁰ والنقص في البنى التحتية وغياب القدرة على تتبّع المواد كلها تعني أنّ كميات كبيرة من الأغلفة البلاستيكية سوف تتحوّل إلى نفايات في المستقبل المنظور.

تصدير الأزمة

الأسوأ من ذلك كلّهُ هو أنّ الكثير من الأغلفة البلاستيكية التي يتم جمعها لـ "إعادة تدويرها" في دول الشمال تُصدّر إلى دول الجنوب.

- يُقدّر أنّ الصين استوردت حوالي 8 ملايين طنّ من النفايات البلاستيكية في السنة التي سبقت منعها لهذه التجارة في العام 2018.
- من المرجّح أنّ الوجهة التالية لكميات البلاستيك الهائلة هذه ستكون جنوب شرق آسيا، حيث لا تتوقّر البنى التحتية اللازمة للتعامل حتى مع الكميات الأكبر من النفايات البلاستيكية المحلية، ما يعني أنّ هذه الدول مسؤولة عن جزء كبير (حوالي 60٪) من المواد البلاستيكية التي تُرمى في المحيط.¹¹
- كذلك، فإنّ كميات البلاستيك الموجودة على اليابسة وفي الأنهار تؤثر بشكل كبير على المجتمعات المحليّة في هذه الدول، إذ تساهم في حرمان السكان من سبل العيش، مثل صيد الأسماك أو الأنشطة السياحية، وتزيد من تلوث المياه ومن تواتر الفيضانات وحدّتها ومن الفترة الزمنية اللازمة لانحسارها.

إنّ التجارة الدولية لـ "إعادة تدوير" النفايات تعني أنه من المستحيل معرفة ما إذا كان يُعاد تدوير المواد القابلة لإعادة التدوير بالفعل أو ما إذا كانت تُحوّل إلى مواد أقل قيمة أو يتم التخلص منها أو تتسرّب إلى النظم البيئية. حاليًا، يزداد استخدام الشركات الكبرى المصنّعة للسلع الاستهلاكية السريعة التداول للمواد البلاستيكية الأحادية الاستخدام عبر توسّعها إلى أسواق جديدة في دول الجنوب وتسويقها لمنتجات مُغلّفة بـ مواد بلاستيكية أحادية الاستخدام وبحصص منفردة، وذلك بهدف تقديم تجربة فاخرة إلى المستهلكين من ذوي الدخل الأدنى.

9 غابر، ر.، جاميك، ج. ر.، لاو، ك. ل.، 2017، إنتاج واستخدام كل البلاستيك الذي يتم تصنيعه ومصيره النهائي، مجلّة التقدّم العلمي، 19 تموز/ يونيو 2017، الجزء 3، العدد 7، e1700782، <http://advances.sciencemag.org/content/3/7/e1700782.full>؛ أقل من 6٪ من العبوات المصنوعة من البولي إيثيلين تيرفتالات (PET)، وهي المادة البلاستيكية الأكثر قابلية لإعادة التدوير، يُعاد تدويرها لصنع أغلفة في الولايات المتحدة. الجمعية الوطنية لموارد العبوات المصنوعة من البولي إيثيلين تيرفتالات (NAPCOR)، 2017، تقرير حول أنشطة إعادة تدوير العبوات المصنوعة من البولي إيثيلين تيرفتالات بعد استهلاكها في العام 2016؛ https://napcor.com/wp-content/uploads/2017/10/NAPCOR-APR_2016RateReport_FINAL.pdf

10 المستويات القصوى الممكنة المُبلّغ عنها حاليًا لإعادة تدوير الأغلفة البلاستيكية تتراوح بين 36٪ و53٪؛ فعند تخطي هذه النسبة، تصبح المواد البلاستيكية المُعاد تدويرها ذات جودة مُتدنية جدًا أو غير فعّالة من حيث الكلفة. دينكستات (2015)، قدرة الأغلفة البلاستيكية على المساهمة في اقتصاد دائري يستخدم الموارد بفعالية. محاضرة خلال المؤتمر الدولي حول إعادة تدوير واستخدام المواد البلاستيكية، Identiplast، روما في 29 نيسان/أبريل 2015. <https://denkstatt.eu/publications>. كذلك، فإنّ الكثير من منشآت إعادة التدوير لا تصل إلى مستويي 36٪ و53٪ المُبلّغ عنهما.

11 شركة ماكزري ومنظمة حفظ المحيطات (Ocean Conservancy) 2015، المرجع نفسه.

هذا التسويق للمنتجات التي تحمل علامات تجارية – سواء أكانت أطعمة أو مشروبات أو مستحضرات تجميلية أو مواد تنظيف – المغلّفة بـ مواد بلاستيكية أحادية الاستخدام يحفّز الإنتاج المفرط والاستهلاك المفرط ويفاقم أزمة التلوّث البلاستيكي إلى حدّ بعيد. في المقابل، فإنّ عادة الاستهلاك المفرط تزيد من القلق الذي يتّسم به نمط الحياة المعاصر ويدفع الأفراد إلى الشعور بالذنب للتسبّب بتدمير الكوكب، وذلك بالتزامن مع حرماننا من السعادة الحقيقية عبر منعنا من عيش حياة أكثر إبداعاً وإرضاءً.

في ضوء ما تقدّم، ينبغي فضح الحلول الزائفة التي تقترحها الشركات والحكومات على حدّ سواء. فقد حان الوقت لدفع الشركات المصنّعة للمنتجات الاستهلاكية إلى الالتزام بالحدّ من اعتمادها على المواد البلاستيكية الأحادية الاستخدام والانتقال نحو نموذج تجاري جديد مبني على الشفافية والحلول الحقيقية التي تشكّل جزءاً من نظام أكثر استدامةً لتغليف المنتجات وعلى سياسات تحدّ من حجم النفايات والتلوّث.

رسالة إلى الشركات الكبرى المصنّعة للسلع الاستهلاكية السريعة التداول: زبائنكم ينتظرونكم!

حان الوقت للتعامل مع الواقع. فالرغم من أنّ الجهود الجماعية والفردية لجمع الأغلفة البلاستيكية وإعادة تدويرها هي جهود مهمّة وجديرة بالثناء، إلا أنها ليست الحلّ الفعلي للأزمة. فعلى الحدّ من إنتاج المواد البلاستيكية الأحادية الاستخدام حالاً وسريعاً. في هذا الإطار، على الشركات الكبرى المصنّعة للسلع الاستهلاكية السريعة التداول، كونها من أبرز المتسببين في أزمة التلوّث البلاستيكي، تحمّل مسؤولية هذه المشكلة وإعادة النظر في اعتمادها على المواد البلاستيكية الأحادية الاستخدام. كذلك، على هذه الشركات الآن أن تقوم بأكثر من التعهّد بتحسين عمليات إعادة التدوير والالتزام بالحد من استعمالها للمواد البلاستيكية الأحادية الاستخدام والتخلّي عنها نهائياً على مراحل سنة بعد سنة.

لا يمكن تحقيق ذلك إلا عبر إلغاء النموذج التجاري القائم على المنتجات الاستهلاكية والأغلفة الأحادية الاستخدام واعتماد نظام جديد يسمح بإنتاج طرق تغليف بديلة بشكل مشترك، خصوصاً تلك القابلة لإعادة الاستخدام وإعادة التعبئة.

تدعو منظمة "غرينبيس" الشركات والحكومات والمجتمع المدني إلى دعم عملية الانتقال نحو مستقبل خالٍ من المواد البلاستيكية، عبر اتخاذ إجراءات فورية لتسهيل التخلّي الكامل عن الأغلفة الأحادية الاستخدام لصالح أنظمة بديلة.

التوصيات الأساسية

تدعو منظمة "جرينبيس" قطاع السلع الاستهلاكية السريعة التداول والشركات الأخرى إلى اعتماد النقاط الأربع التالية كأولويات في عملها:

- التخلى بالشفافية – الإفصاح علناً عن كامل المعلومات المتعلقة بكمية المواد البلاستيكية التي تستخدمها وأنواعها؛
- الالتزام بالحد من كمية المواد البلاستيكية – تحديد أهداف سنوية للحد من كمية المواد البلاستيكية الأحادية الاستخدام، تمهيداً للتخلى عنها تماماً على مراحل؛
- التخلى فوراً عن المواد البلاستيكية غير الضرورية والمسببة لأخطر المشاكل البيئية – البدء بجهود الحد من المواد البلاستيكية من خلال التخلى عن تلك المسببة لأخطر المشاكل البيئية وغير الضرورية بحلول نهاية العام 2019؛
- الاستثمار في إعادة الاستخدام وأنظمة التغليف البديلة – الاستثمار بشكل فعال في إنتاج عبوات قابلة لإعادة التعبئة والاستخدام وابتكار أنظمة تغليف جديدة تحد من الحاجة إلى المواد البلاستيكية الأحادية الاستخدام قدر الإمكان.